

تنوع ألوان البشر ودلالاته العقديّة وأثره في وحدة الأمة

د. المليح عبد الله عبد العزيز الكشّان (*)

المستخلص:

يتلخص هذا البحث الذي يتناول ثقافة تنوع ألوان البشر ودلالاته وأثره في وحدة الأمة؛ ومهدت له بمعنى الألوان، وما يطلق على البشر منها وبيان معانيها، ويتكون البحث من ثلاثة مباحث؛ الأول: في تأصيل ألوان البشر والأدلة من الكتاب والسنة وبيان الحق حول سبب اختلاف ألوان البشر، وأن ذلك مما قضاه الله تعالى وقدره، في خلق آدم عليه السلام وتنوع التربة التي أخذت منها طينته، ورد الأقوال الباطلة في هذا الموضوع. والثاني: في دلالة تنوع ألوان البشر، حيث يدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وهو من الآيات الكونية، ومثله اختلاف الألسن والأصوات والثمار والجبال. وكذلك في تنوع الألوان دليل على عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وحيث وجد ذلك التنوع في أصحابه وأتباعه، ولا يزال إلى قيام الساعة. والثالث: في أثر تنوع ألوان البشر على وحدة الأمة الإسلامية؛ وتوطين هذه الثقافة عند كل مسلم تورث نبذ العصبية والحمية الجاهلية، وترسخ معاني الأخوة الإسلامية بكل معاني المحبة والموااة والمساواة والعدل والنصرة والائتلاف.

(*) أستاذ مساعد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

* ولهذا التنوع أثر في قوة الأمة ووحدتها، وتعاونها في إقامة العبودية لله تعالى، التي من أجلها خلق الخلق، وفيه إظهار هيبة الأمة، في عددها وتعدادها وألوانها وأجناسها، وشعوبها؛ وبهذا ينزل أهل الكفر، ويعز الإسلام والمسلمين.

مقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) (سورة آل عمران - الآية: ١٠٢).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (سورة النساء - الآية: ١).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (سورة الأحزاب - الآية: ٧٠).

أما بعد: فإن الله عزَّ وجلَّ خلق الخلق، وتفرَّد بذلك، وجعل منهم الأبيض والأسود والأحمر والطيب والخبيث والبر والفاجر، فله الحكمة البالغة والحجة الظاهرة، يفعل ما يشاء سبحانه وتعالى؛ (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) (سورة الأنبياء - الآية: ٢٣).

وقد قضى الله سبحانه وقدر أن تنتوع ألوان البشر، لحكمة وغاية وأسباب خفيت على بعض الناس، وما يترتب ويستفاد من هذا التنوع، فكان هذا البحث بمثابة ثقافة عامة ليعالج بعض القضايا والإشكالات فيه، وهو بعنوان: " تنوع ألوان البشر، دلالاته العقدية وأثره في وحدة الأمة".

مشكلة البحث:

في الإشكال الوارد عند كثير من الناس، حول أصل تنوع ألوان البشر من أين جاء؟ وعدم فهم المقصد والحكمة منه، وضعف الثقافة العامة في ذلك من حيث المدلول والأثر وما دورها وأثرها في وحدة الأمة؟.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في بيان الأثر في تنوع ألوان البشر، ودلالته في رد التنازع بين الناس وسد باب الفرقة والخلاف. وحشد الأمة على القوة والترابط. وذلك لمسيب الحاجة إلى هذه الثقافة التي بعد عنها الناس، ومصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أرْبَعُ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَبْرُكُونَ فِيهَا الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ»^(١).

وكذلك ضعف ثقافة أن هذا التنوع في الألوان في ألوان البشر، وأيضاً فيه دليل على القوة، فالإسلام جنوده بجميع ألوان البشر.

وكذلك تظهر أهمية هذا الموضوع والحاجة إليه من خلال الضعف والهوان الموجود في الأمة. وهذا من فرض هيبة الأمة الإسلامية، بجميع صورها وأزهي ألوانها.

أهداف البحث:

- [١] تنقيف المؤمن بالتنوع في ألوان البشر، بذكر أقوال الناس فيه وبيان الحق.
- [٢] توضيح الأقوال الباطلة في ألوان البشر وردّها.
- [٣] غرس القيم النبيلة والدلالات العظيمة في صور ألوان البشر.
- [٤] بيان الغاية في هذا التنوع، وما يستفاد منه في وحدة الأمة.

(١) صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الجنائز، حديث رقم ٩٣٤، (٦٤٤/٢). دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الدراسات السابقة :

لم أجد بحثاً تناول هذا الموضوع على ضوء هذه المفردات، أو بهذا العنوان، وأفضل من طريقه المفسرون، وشرح السنة في الآيات والأحاديث الواردة في هذا المقام، وطرقه أهل الطب في التنوع الجيني والوراثي، وأهل الجغرافيا في تأثير العوامل المناخية على الإنسان، وكل ذلك بصورة عامة نون تأصيل، ومما وقفت عليه في الدراسات السابقة:

[١] معجزة اختلاف الألوان، للشيخ عبد الدائم الكحيل. وهو مقال على موقعه، تحدث عن الألوان عامة.

[٢] لماذا تختلف ألوان البشر، تأليف مفيد صيداوي. كتيب صغير لا يتجاوز عشر صفحات عبارة عن قصة أطفالية.

[٣] لماذا تختلف ألوان البشرة عند الإنسان، مقال على موقع www.vb.eq1a3.com

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقمّة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وكل مبحث يتضمن مطلبين، وخاتمة، وفهارس.

المبحث الأول: تأصيل ألوان البشر، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: أدلة تنوع ألوان البشر من الكتاب.

المطلب الثاني: أدلة تنوع ألوان البشر من السنة.

المبحث الثاني: الدلالة العقديّة في تنوع ألوان البشر. وفيه مطلبان.

المطلب الأول: دلالاته على عظمة الحق سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: دلالاته على عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الثالث: أثر تنوع ألوان البشر في وحدة الأمة. وفيه مطلبان.

المطلب الأول: أثره في نبذ العصبية والجهل.

المطلب الثاني: أثره في قوة الأمة الإسلامية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

- وسلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي حيث جمعت المادة العلمية من كتب التفسير، وشروحات الحديث، واللغة، والتاريخ، ودرستها.
- عزوت الآيات التي وردت في البحث مبيناً اسم السورة، ورقم الآية.
- عزوت الأحاديث إلى مصادرها.
- نقلت الأقوال من مصادرها الأصلية.
- ترجمت للأعلام الواردة في البحث.
- ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها والتوصيات.
- وأسأل الله التوفيق والسداد والهداية؛ والإعانة والإصابة والقبول، هو حسبي وعليه أتوكل. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه وسلم.

التمهيد:**بيان معنى الألوان****- معنى اللون:**

اللُّونُ: هيئة كالسَّوَادِ والحُمْرَةِ، ولَوْنُهُ قَتْلَوْنٌ، ولَوْنُ كُلِّ شَيْءٍ مَا فَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، والجمع ألوانٌ وقد تَلَوَّنَ وَلَوَّنَ وَلَوَّنَهُ والألوانُ الضُّرُوبُ واللُّونُ النوعُ^(١). وفي معجم مقاييس اللغة: اللام والواو والنون كلمة واحدة، وهي سَحَنَةُ الشَّيْءِ: من ذلك اللُّونُ: لونُ الشَّيْءِ، كالحمرّة والسَّوَادِ، ويقال: تَلَوَّنَ فلانٌ: اختلفت أخلاقُه^(٢).

(١) لسان العرب، لمحمد بن مكرم ابن منظور، (٣٩٣/١٣). دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

وقيل اللون: تكيف ظاهر الأشياء في العين. وقال الراغب^(٣): معروف وينطوي على الأبيض والأسود وما تركيب منهما؛ ويعبر بالألوان عن الأجناس والأنواع. يقال فلان أتى بالألوان من الأحاديث، وتناول كذا لوناً من الطعام. واللون صفة الجسد من البياض والسواد وغيرهما؛ وتلون فلان اختلفت أخلاقه^(٤).

والألوان: جمع لون. وهو كيفية لسطوح الأجسام مدركة بالبصر؛ تنشأ من امتزاج بعض العناصر بالسطح بأصل الخلقة أو بصبغها بعنصر ذي لون معروف. وتنشأ من اختلاط عنصرين فأكثر ألوان غير متناهية^(٥).

ومن ضروب الألوان: أسود حالك، وحنك، وغريب، وحبوب، وحلوك. وأبيض ناصع، ويقق، ولحق، وقهد، وقهب، ولياح، وأخضر ناضر، وأصفر فاقع، وأحمر قاني، وقد قنأ يقنأ. وأحمر نريحي والأرجوان: الحمرة والجريال: الحمرة. والمدمي: الأحمر والأصحم: سواد إلى الصفرة. والأفصح: الأبيض، وليس بشديد البياض. الأشكل: فيه حمرة وبياض. والأغثر: فيه غبرة. والأطل والأريد: لون الرماد^(١).

وغيرها من الألوان المشهورة كألوان الطيف؛ الأصفر، والأخضر، والأحمر، والسماوي، والأزرق، والبنفسجي، والبنّي، والقرنفي، والفوشي، والكوبي، والطوبي،

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد، (٥/٢٢٣). اتحاد الكتاب العربي، طبعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٣) الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني الراغب العلامة الماهر المحقق الباهر، صاحب التصانيف له "تحقيق البيان في القرآن" و"المفردات" توفي سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م. طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأندري، تحقيق سليمان الخزي، (١/٣٠). مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان، (١/٦٢٩)، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(٥) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، (١٣/٩٤)، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١) كتاب الجرائم، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (١/١٤).

الزيتي، والكاكي، والعسلي، البيجي، والترابي، والسكري، والرمادي، والرصاصي، وليس لها ضابط معين؛ فكل قوم يطلقون أسماء على قياس ما هو مشاهد عندهم.

- ما يطلق على الإنسان من الألوان:

وألوان البشر تجتمع في البياض والحمرة والسواد، وتتفرق على إطلاقات عدة منها: الأكمة، والسمرة، والشقرة، والأزهر، والأمهق، والأبيض، والأسود، والأخضر، والقمحي، والأشهب، والداكن.

والشقرة من الألوان حمرة تعلو بياضاً في الإنسان وحمرة صافية في الخيل؛ والسمرة أحد الألوان المركبة من السواد والبياض، والخضرة أحد الألوان بين البياض والسواد وهو إلى السواد أقرب^(٢).

وأشهب وأقهب: سواد يضرب إلى الحمرة^(٣).

وقيل: أصل اللون البياض لأنه غير محتاج إلى علة؛ ولأنّ التشريح أثبت أنّ ألوان لحوم البشر التي تحت الطبقة الجلدية متحدة اللون. ومن البياض والسواد انشقت ألوان قبائل البشر؛ فجاء منها اللون الأصفر واللون الأسمر، واللون الأحمر. ومن العلماء من جعل أصول ألوان البشر ثلاثة: الأبيض والأسود والأصفر، وهو لون أهل الصين. ومنهم من زاد الأحمر وهو لون سكان قارة أمريكا الأصليين المدعوين هنود أمريكا. واعلم أنّ من مجموع اختلاف اللغات واختلاف الألوان تمايزت الأجناس البشرية؛ واتحدت مختلطات أنسابها. وقد قسموا أجناس البشر الآن إلى ثلاثة أجناس أصلية وهي:

(٢) انظر التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، (١/٤٣٤، ٤١٤، ٣١٥).

(٣) المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق خليل جفال، (٤/٢٨٩).

دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

الجنم القوقاسي الأبيض^(٤)، والجنم المغولي الأصفر، والجنم الحبشي الأسود، وفرعوها إلى ثمانية، وهي: الأبيض، والأسود، والحبشي، والأحمر، والأصفر، والسامي، والهندي، والملاي^(٥).

المبحث الأول

تأصيل ألوان البشر

المطلب الأول: نكر أدلة تنوع ألوان البشر في القرآن الكريم.

اتفق أهل الأديان والمل والنحل -إلا من شذ- على أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام، ومنه خلق زوجه حواء عليها السلام؛ ومنهما خلق جميع البشر، بشتى ألوانهم وأشكالهم ولغاتهم.

ومما قد يشكل على بعض الناس، أو ما يُطرح من سؤال إذا كان الناس كلهم أبناء أم عليه السلام كما قل جل وعلا: ﴿بِأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (سورة النساء، الآية: ١) فمن أين جاء اختلاف الألوان؟ وما هي دلالاته؟ وما الحكمة منه؟

كما أن الناس مجمعون على أن نوح عليه السلام هو الأب الثاني لجميع البشر، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نُورَيْنَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (سورة الصافات، الآية: ٧٧) فكل إنسان على

(٤) العرق القوقازي الأبيض هو تعبير يشير لعدة شعوب في العالم، يستخدم ضمن علم الإنسان للإشارة إلى الشعوب التي تعيش في أوروبا وشمال إفريقيا وغرب آسيا والهند أي شعوب أوروبا والعرب والفرس والهنود، بالإضافة إلى أنه ليس للمصطلح أية دلالة على درجة بياض البشرة الذي قد يكون أبيض فاتحاً أو أبيض متوسطاً أو أبيض غامقاً. موقع وكبيديا الموسوعة الحرة ar.wikipedia.org/wiki

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٥/٢١).

وجه الأرض من ولد نوح عليه السلام. روي عن ابن عباس^(١) رضي الله عنهما قال: لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إنا ولده ونساءهم، قال سعيد بن المسيب^(٢): كان ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافت، فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافت أبو الترك والخزر وأجوج ومأجوج وما هنالك^(٣).

والأصل في تنوع الألوان في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الروم، الآية: ٢٢).

وقوله: ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ يعني: اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تنر لهم لغة أخرى، وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء تكور، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء عجم، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء خزر، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم، واختلاف ألوانهم وهي حُلاهم، فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا- منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان، وأنف وجبين، وفم وخذان. وليس يشبه واحد منهم

(١) أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب شيبه بن هاشم، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، المكي القرشي البحر حبر الأمة وفقه العصر وإمام التفسير، الأمير رضى الله عنهما، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، ولد وبنو هاشم في الشعب، واتفقوا على أنه مات بالطائف سنة ٦٨هـ / ٦٨٨م. الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، (٩٠/٤)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام العلم، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، سيد التابعين ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وتوفي سنة أربع وتسعين. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن قايمز الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، (٢١٧/٤). مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٣) تفسير البغوي معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (٣٤/٤)، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمات أو الهيئة أو الكلام، ظاهراً كان أو خفياً، يظهر عند التأمل، كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه الأخرى. ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح، لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر^(١).

وقوله تعالى: ﴿الْمُتَرَّانَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالنَّوَابِغِ وَالنَّعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (سورة فاطر، الآيتان: ٢٧، ٢٨).

ذكر الرازي^(٢) في مفاتيح الغيب لطيفة قال: "الظاهر أن الاختلاف راجع إلى كل لون، أي: بيض مختلف ألوانها، وحمرة مختلف ألوانها، لأن الأبيض قد يكون على لون الجص، وقد يكون على لون التراب الأبيض، دون بياض الجص. وكذلك الأحمر ولو كان المراد أن البيض والحمرة مختلف الألوان لكان مجرد تأكيد؛ والأول أولى وعلى هذا فنقول لم يذكر مختلف ألوانها بعد البيض والحمرة والسود؛ بل ذكره بعد البيض والحمرة

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق سامي سلامة، (٦/٣١٠).

دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين النيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر.

أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. من تصانيفه (مفاتيح الغيب - ط) ثمانية مجلدات في

تفسير القرآن الكريم، و (لوامع النبيات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و (معالم أصول الدين) و

(محصول أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين. انظر الأعلام، لخبر الدين بن محمود

الزركلي الدمشقي، (٦/٣١٣)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م. وطبقات الشافعية لتاج

الدين بن علي السبكي، تحقيق د. محمود الطناحي (٨/٨٠)، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية

١٤١٣هـ.

وأخر السود الغرابيب، لأن الأسود لما ذكره مع المؤكد وهو الغرابيب يكون بالغاً غاية السواد فلا يكون فيه اختلاف"^(٣).

وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ) وأي: وكذلك الحيوانات من الأناسي والذواب كل ما دب على قوائم-والأنعام، من باب عطف الخاص على العام. كذلك هي مختلفة أيضاً، فالناس منهم بربر وحُبُوش وطَمَاطم في غاية السواد، وصقالبة وروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: (وَإِخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) (سورة الروم، الآية: ٢٢). وكذلك الذواب والأنعام مختلفة الألوان، حتى في الجنس الواحد، بل النوع الواحد منهم مختلف الألوان، بل الحيوان الواحد يكون أبلق، فيه من هذا اللون وهذا اللون، فتبارك الله أحسن الخالقين^(١).

وهذا الاختلاف المشاهد في الجبال والتربة من بيض وحمرة وسواد وبين هذا وذلك، عطف عليه اختلاف ألوان البشر، لأنَّ الإنسان قد لا يرى غير بني جلدته، سواء فيما مضى من العصور، أو لانقطاعه عن الناس؛ لكنه حتماً سيشاهد اختلاف التربة. وقد سعى العلماء إلى تفسير تنوع ألوان البشر، قال ابن عاشور^(٢): "وأما اختلاف ألوان البشر فهو آية أيضاً، لأنَّ البشر منحدر من أصل واحد وهو آدم-عليه السلام-، وله لون واحد لا محالة، ولعله البياض المشوب بجمرة، فلما تعدد نسله جاءت الألوان المختلفة في بشراتهم؛ وذلك الاختلاف معلول لعدة علل أهمها: المواطن المختلفة بالحرارة

(٣) تفسير الرازي مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، (١٩/٢٦). دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥٤٤/٦).

(٢) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن. توفي سنة ١٣٩٠هـ. الأعلام للزركلي، (٣٢٥/٦).

والبرودة، ومنها التوالد من أبوين مختلفي اللون؛ مثل المتولد من أم سوداء وأب أبيض، ومنها العلل والأمراض التي تؤثر تلويناً في الجلد، ومنها اختلاف الأغذية؛ ولذلك لم يكن اختلاف ألوان البشر دليلاً على اختلاف النوع بل هو نوع واحد، فلبشر ألوان كثيرة أصلها البياض والسوانن^(٣).

وأرجع أهل الكتاب تنوع ألوان البشر، بقصة باطلة نكرت في التوراة وهي غيرها من المطاعن في دليل على تحريفها وطبعت فيما يسميه النصارى الكتاب المقدس؛ فنكروا في سفر التكوين جاء في الإصحاح التاسع: (وابتداء نوح يكون فلاحاً وعرس كرمًا وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فابصر حام^(٤) أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على اكتافهما ومشيا إلى الوراء وستراء عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان عبد العبود يكون لإخوته وقال مبارك الرب إله سام وليكون كنعان عبداً له ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم^(١)).

فاللعنة التي أصابت حام ونريته من نوح عليه السلام جعلتهم عبيداً وسوداً، فالرواية باطلة والتفسير باطل؛ وكيف يحمل إنسان خطيئة غيره؟ ومثل هذه الضلالات

(٣) التحرير والتوير، (٣٥/٢١) .

(٤) قال في قاموس الكتاب المقدس في ترجمة حام: "في حادثة سكر أبيه تصرف تصرفاً عاقباً فجلب على نفسه وعلى نسله كنعان اللعنة وقائمة شعوب العربية الجنوبية، وكوش أي الحبشة ومصر. وكنعان تشمل كلا زرايه الذين أخذوا عن طريق الغزو وغيره" قاموس الكتاب المقدس - ص ٢٨٤. نخبة من الأساتذة - دار مكتبة العائلة - القاهرة ومطبعة الحرية بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة عشر، ٢٠٠٥ م . وهكذا يقول كتاب هذا القاموس من غير خجل ولا حياء!! .

(١) سفر التكوين، ٩ : (٢٠ - ٢٧)، الكتاب المقدس، طبعة دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط Arabic

٢٠٠١ - ٦k - ٢٠ . Bible ٤٠ series UBS - EPS

يؤمن بها النصارى في قصة الصليب والقداء. وفي تحمُّل الأوزار، ووهذا مما يرده العقل؛ إذ كيف يحاسب إنسان بذنب غيره؟ فضلاً عن الافتراء على نوح عليه السلام بالسكر والتعري وعلى ابنه حام. فما بني على باطل فهو باطل.

قال ابن خلدون^(٢) في المقدمة: "ولما رأى النسابون اختلاف هذه الأمم؛ بسماتها وشعارها، حسبوا ذلك لأجل الأنساب. فجعلوا أهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام، وارتابوا في ألوانهم فتكفوا نقل تلك الحكاية الواهية- التي ذكرها أهل الكتاب عن حام- وجعلوا أهل الشمال كلهم أو أكثرهم من ولد يافث، وأكثر الأمم المعتلة وأهل الوسط المنتحلين للعلوم والصنائع والملل والشرائع والسياسة والملك من ولد سام، وهذا الزعم إن صادف الحق في انتساب هؤلاء، فليس ذلك بقياس مطرد، إنما هو إخبار عن الواقع لا أن تسمية أهل الجنوب بالسودان والحبشان من أجل انتسابهم إلى حام الأسود. وما أداهم إلى هذا الغلط إلا اعتقادهم أن التمييز بين الأمم إنما يقع بالأنساب فقط، وليس كذلك فإن التمييز للجيل أو الأمة يكون بالنسب في بعضهم كما للعرب وبني إسرائيل والفرس ويكون بالجهة والسمة كما للزنج والحبشة والصقالبة والسودان^(٣).

وأرجع بعض أهل الكلام والفلسفة وعلماء البيئنة تنوع ألوان البشر إلى العوامل المناخية، فقالوا الشعوب التي تعيش في خط الاستواء ألوانها داكنة، وأن الشعوب التي تعيش في قطب الكرة الشمالي أو الجنوبي ألوانها فاتحة؛ لأن من خصائص المادة الداكنة تمتص الأشعة فوق البنفسجية الضارة، وأشعة الشمس في خط الاستواء عموديةً وشديدةً

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات، أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، توفي سنة ٨٠٨هـ. الأعلام للزركلي، (٣/٣٣٠).

(٣) المقدمة، لابن خلدون، (١/١١٩).

الحرارة وذات تأثير كبير، لذلك تأتي هذه المادة الكثيفة في الجلد لتمتص الأشعة فوق البنفسجية، وتضعف أثرها السيء على جسم الإنسان، وهذه هي حكمة زيادة هذه المادة الملونة عند ساكني خط الاستواء مما يجعل جلدهم داكن اللون، بينما عند ساكني المناطق الباردة تقل كميتها في الأرض، فتبدوا ألوانهم فاقعة أو فاتحة^(١).

وعليه قيل: اختلاف الألسنة سببه القرار بأوطان مختلفة متباعدة، واختلاف الألوان سببه اختلاف الجهات المسكونة من الأرض، واختلاف مسامتة أشعة الشمس لها؛ فهي من آثار خلق السماوات والأرض^(٢).

والقول بأن الأصل في الألوان البياض وأن حر الشمس في المناطق الحارة، أثر على سكانها فتغيرت ألوان جلودهم، على مر الأزمان، واضح البطلان؛ حيث يوجد من يسكن في المناطق الحارة أو تحت خط الاستواء من البياض؛ عدة قرون ولم تتغير ألوانهم. وكذلك العكس في السود حيث يوجد منهم من يسكن المناطق الباردة، ولم ترجع ألوانهم إلى البياض.

وأرجع أهل العلم اختلاف الألوان إلى اختلاف التربة التي خلق منها آدم عليه السلام كما بينته السنة وسيأتي الحديث عنه في مبحث أدلة السنة.

المطلب الثاني: ذكر تنوع ألوان البشر في السنة.

والأصل في السنة حديث أبي موسى الأشعري^(١) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو

(١) موقع دار العلوم <http://daralolom.blogspot.com>

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٤/٢١).

(١) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري صحابي مشهور بكنيته واسمه معاً، اشتهر بحسن الصوت. مات سنة اثنتين وأربعين وقيل أربع وأربعين وقيل غير ذلك. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (٢١٢/٤).

آَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيَّنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلُ وَالْحَزَنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»^(٢).

وهذا الحديث أصل واضح بيّن في تنوع ألوان البشر، وبه فصل الخلاف؛ إذ هو خبر عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

قال شرح الحديث قوله: " (فَجَاءَ بَثْوِ آَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ) أي: مبلغها من الألوان والطباع. (جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ) بحسب ترابهم؛ وهذه الثلاثة هي أصول الألوان وما عداها مركب منها، وهو المراد بقوله: (وبين ذلك) أي: بين الأحمر والأبيض والأسود، باعتبار أجزاء أرضه. (والسهل) أي: ومنهم السهل أي: اللين. (والحزن) بفتح الحاء وسكون الزاي أي: الغليظ. (والخبيث) أي: خبيث الخصال. (والطيب) على طبع أرضهم وكل ذلك بتقدير الله تعالى لونا وطبعاً وخلقاً. وقيل: لما كانت الأوصاف الأربعة ظاهرة في الإنسان والأرض أجريت على حقيقتها وأولت الأربعة الأخيرة لأنها من الأخلاق الباطنة؛ فإن المعنى بالسهل الرفق واللين وبالحزن الخرق والعنف وبالطيب الذي يعني به الأرض العذبة المؤمن الذي هو نفع كله وبالخبيث الذي يراد به الأرض السبخة الكافر الذي هو ضرر كله"^(٣).

(٢) سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب السنة، حديث رقم ٤٦٩٥، (٣٥٨/٤)، دار الكتاب العربي، بيروت. وسنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق بشار عواد، أبواب ما جاء في التفسير، حديث رقم ٢٩٥٥، (٥٤/٥). دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٩٩٨م. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الالباني.

(٣) انظر تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي، لمحمد عبد الرحمن المباركفوري، (٢٣٤/٨). دار الكتب العلمية، بيروت. انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، (٢٩٧/١٢). دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

وروي عن سعيد بن جبير^(٤) - في معنى الحديث السابق- قال: قلت: لابن عباس أبا عباس: الساعة التي تذكر في يوم الجمعة، فقال: الله أعلم؛ مرات خلق الله آدم في آخر ساعات الجمعة؛ فخلقه من أديم الأرض كلها، أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها وحزنها وسهلها؛ فلذلك في ولده الطيب والخبيث والأحمر والأسود والسهل والحزن، ثم نفخ فيه من روحه، وأسكنه جنته، وأمر الملائكة فسجدوا له، وعهد إليه عهداً فَنَسِي؛ فسمي الإنسان. فله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى أخرجته منها^(١).

وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذا التحول الوراثي، من آدم عليه السلام إلى بنيه، كما في حديث مالك بن الحويرث^(٢) رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ النَّسَمَةَ، فَجَامَعَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ طَارَ مَاؤُهُ فِي كُلِّ عِرْقٍ وَعَصَبٍ مِنْهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْعِ أَحْضَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ كُلَّ عِرْقٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُمَّ، ثُمَّ قَرَأَ: "فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ" (سورة الإنفطار، الآية: ٨)^(٣).

(٤) سعيد بن جبير الوالبي مولاهم الكوفي المقرئ الفقيه: أحد الأعلام سمع ابن عباس وعدي بن حاتم وابن عمر وعبد الله بن مغفل وطائفة وقيل كان أسود اللون وكان ابن عباس إذا حج أهل الكوفة وسأله يقول أليس فيكم سعيد بن جبير قتله الحجاج قاتله الله في شعبان سنة خمس وتسعين وله تسع وأربعون سنة على الأشهر وقيل بل عاش بضعا وخمسين سنة. تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق زكريا عميرات، (٦٠/١). دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(١) مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، باب الساعة في الجمعة، حديث رقم ٥٥٨١، (٢٦٣/٣). المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٢) مالك بن الحويرث بن أشيم بن زباله بن خشيش بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث الليثي، من صغار الصحابة سكن البصرة، ومات بالبصرة سنة أربع وسبعين. الإصابة لابن حجر، (٧١٩/٥).

(٣) المعجم الكبير لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد، معجم مالك بن الحويرث رضي الله عنه، حديث رقم ١٥٩٩٩، (٢٠٠/١٤). مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م. وقال الطبراني: "لا يروى عن مالك بن الحويرث إلا بهذا الإسناد، تفرد به ابن سوار". وقال ابن منده: "هذا إسناد متصل مشهور على رسم أبي عيسى والنسائي وغيرهما". قال الألباني وهو

وهذا الحديث مما يذكره علماء الإعجاز في علم الوراثة والأجنة؛ حيث ذكره النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يكتشفه الناس، ونظيره ما روي في الصحيح عن أبي هريرة^(٤) أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ امْرَأَتِي وَكَانَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ وَإِنِّي أَكْرَهُهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَمَا أَلْوَانُهَا قَالَ حُمْرٌ قَالَ هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ قَالَ إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا قَالَ فَكَيْ تَرَى ذَلِكَ جَاءَهَا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَرِّقْ نَزَعَهَا قَالَ وَلَعَلَّ هَذَا عَرِيقٌ نَزَعَهُ وَلَمْ يُرَخَّصْ لَهُ فِي الْإِنْتِفَاءِ مِنْهُ^(٥).

فقد أثبت علم الوراثة أن في كل خلية من خلايا الجسم عدداً ثابتاً من أجسام صغيرة تسمى كروموزومات سماها النبي بالعروق، تحمل عوامل وراثية مسؤولة عن الصفات التي تظهر في الإنسان؛ حيث إن هذه الكروموزومات ما هي إلا الجسر الذي تنتقل عليه صفات النوع من جيل إلى جيل آخر. وقد يكون تأثير العامل الوراثي خافياً مستتراً، فيطلق عليه في هذه الحالة العامل الوراثي الكامن أو المتحى .. وهذا ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما جاءه الأعرابي يقول له: ولدت امرأتى غلاماً أسود، وهو حينئذ يعرض بأن ينفيه، ولم يرخص له النبي في الانتفاء منه و ذلك لسعة علم رسول صلى الله عليه وسلم ، وقدرته التي لا تدانى في الحوار والإقناع، بحيث أرجع السائل إلى ما يعهده من إبله سائلاً إياه عن ألوانها. وبحوث علماء الوراثة؛ تؤكد أن الشبه

كما قال إن شاء الله تعالى؛ فإن أنيس بن سوار وأباه ترجمهما البخاري وابن أبي حاتم، ولم يذكر فيهما جرحاً ولا تعديلاً، وذكرهما ابن حبان في "الثقات" انظر السلسلة الصحيحة للألباني، (١٣٣/١٣).

(٤) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، حافظ الصحابة وأكثرهم حديثاً مات سنة ٥٧هـ وقيل التي بعدها . شذرات الذهب لعبد الحي بن أحمد العكري ابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر ومحمد الأرنؤوط، (٦٣/١)، دار ابن كثير، دمشق، طبعة ١٤٠٦هـ.

(٥) صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، حديث رقم ٦٨٨٤، (٦/٢٦٦٧)، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. وصحيح مسلم، كتاب اللعان، حديث رقم ١٥٠٠، (٢/١١٣٧).

بين المولود ووالديه قد يكون غير ظاهر، بل بعيداً كل البعد عن كلا الأبوين؛ حيث إن الصفات الوراثية قد تكون سائدة Dominant وقد تكون متنحية Recessive فإذا اتفق وكان كل من الأب والأم يحملان أحد هذه الصفات المتنحية، فإن ربع أولادهم تقريباً ستظهر فيهم هذه الصفة المتنحية بصورة واضحة جلية، وذلك لاجتماع الصفتين من كل الأب والأم^(١).

وتضاريس الأرض مختلفة كما هو معلوم ومشاهد، فتعدد ألوان التربة نتج منه تعدد ألوان بني آدم، فهذا السبب هو المرجح عند أهل العلم بعد أن يقال اقتضت ذلك حكمة الله تبارك وتعالى ومشيئته- هذا التنوع في اختلاف ألوان حبيبات التراب الذي خلق منه آدم أبو البشر أجمعين بل إن التراب الذي خلق منه آدم عليه السلام جمع من جميع تضاريس الأرض كما جاء في الحديث؛ ففيها رمال بيضاء وحمراء وجبال سوداء، وهضاب وطينة لينة، وعلى ذلك جاء التفاوت في طباع البشر بين سهل ووعر وجبل ورمل وبين لين وصعب فسبحان الله رب العالمين.

وكذلك لفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى في غير ما حديث من ذلك ما رواه أهل السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقَىُّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَأَنْتُمْ مِنْ تُرَابٍ لِيَدْعَنَّ رَجُلٌ فَخَرَّهُمْ بِأَقْوَامٍ لَيْمًا هُمْ فَحَمٌ مِنْ فَحَمٍ جَهَنَّمِ أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفُهَا النَّتْنَ»^(٢).

وهذا فيه دلالة بالمفهوم على جميع أنواع التراب؛ بمعنى كلكم من هذا التراب مهما اختلفت الألوان ومهما اختلفت الشعوب.

(١) موقع منتدى التوحيد، مقال للدكتور محمود عبد الله نجا www.elthwed.com

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، حديث رقم ٥١١٨، (٤/٤٩٢)

ومن الأحاديث التي فيها إشارة إلى تعدد الألوان كذلك ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري^(٣) رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ وَأَحْلَتْ لِي الْعَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلِّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طِينَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَنْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ صَلَّى حَيْثُ كَانَ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ وَأُعْطِيَتْ الشَّقَاعَةَ»^(١).

وفي رواية: "بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرَ وَالْأَسْوَدَ، وَكَانَ النَّبِيُّ إِنَّمَا يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً"^(٢).

فقوله: "بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرَ وَالْأَسْوَدَ" أي: العجم والعرب لأن الغالب على ألوان العجم الحمرة والبياض وقيل أراد الجن والإنس . وقيل أراد بالأحمر الأبيض مطلقاً فإن العرب تقول امرأة حمراء أي بيضاء . وسئل ثعلب^(٣): لِمَ خَصَّ الْأَحْمَرَ نُونِ الْأَبْيَضِ؟ فقال: لَأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَقُولُ رَجُلٌ أَبْيَضٌ مِنْ بِيَاضِ اللَّوْنِ وَإِنَّمَا الْأَبْيَضُ عِنْدَهُمُ الطَّاهِرُ

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد أقوال أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة، مات بالمدينة سنة ثلاث وسبعين. الإصابة لابن حجر، (٤٣٤/١)

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم ٥٢١، (٣٧٠/١).

(٢) المسند للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مسند جابر، حديث رقم ١٤٢٦٤، (١٦٥/٢٢). مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٣) ثعلب: العلامة المحدث، إمام النحو، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولا هم البغدادي، صاحب "الفصيح والتصانيف" قال الخطيب: ثقة حجة، دين صالح، مشهور بالحفظ. وله كتاب: "اختلاف النحويين"، وكتاب "القراءات"، وكتاب "معاني القرآن" مات سنة إحدى وتسعين ومئتين. سير أعلام النبلاء للذهبي، (٥/١٤)

النَّفِيّ من العُيُوب فإذا أرادوا الأبييض من اللّون قالوا الأحمَر. وفي هذا القول نَظَر قد استَعْمَلوا الأبييض في ألوان الناس وغيرهم^(٤).

فقد بيّنت السنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، بياناً شافياً في اختلاف ألوان البشر، وأن المرجع في ذلك إلى خلق آدم عليه السلام، واختلاف أنواع وألوان التربة؛ فجاء بنوه على غرار تلك التربة، فتوارثوها بعد ذلك من أبائهم.

المبحث الثاني

الدلالة العقديّة في تنوع ألوان البشر

المطلب الأول: الدلالة على عظمة الحق سبحانه وتعالى.

إن في تنوع ألوان البشر آية عظيمة من آيات الله، ودليل على تفرده ووحدانيته، وهو مما يذكر مع الآيات الكونية التي يستدل بها على وجود البارئ سبحانه وتعالى. فمن تأمل هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها، وما فيها من الكواكب الكبار والصغار المنيرة من السيارة ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة؛ ولها في أنفسها سير يخصها، ونظر إلى البحار الملتقة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال: {وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (سورة فاطر، الآيتان: ٢٧، ٢٨) وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر لمنافع العباد؛ وما زراً في الأرض من الحيوانات المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والأرياح والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء، علم وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته

(٤) النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، (١/١٠٤٤). المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

ورحمته بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم وبره بهم لا إله غيره ولا رب سواه، عليه توكلت وإليه أنيب، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جداً^(١).

وقد ذكر الله تعالى التنوع في ألوان البشر مع جملة من الآيات في سورة الروم قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الروم، الآية: ٢٢).

فقوله تعالى: (وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ) اللسان في الفم، وفيه اختلاف اللغات: من العربية والعجمية والتركية والرومية. واختلاف الألوان في الصور: من البياض والسواد والحمرة، فلا تكاد ترى أحداً إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر. وليس هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين، فلا بد من فاعل، فعلم أن الفاعل هو الله تعالى، فهذا من أدل دليل على المدبر البارئ. (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) أي للبر والفاجر. وقرأ حفص: " للعالمين " بكسر اللام جمع عالم^(٢).

كما ذكر الحق سبحانه وتعالى تنوع الألوان مع اختلاف ألوان الثمرات؛ والتي فيها دلائل كثيرة باهرة على قدرة الله سبحانه وتعالى وتفرده بالخلق وقدرته على البعث؛ ومن تأمل في هذه الثمار واختلاف طعومها وألوانها وهي تسقى بما واحد وتخرج من أرض واحدة، وهكذا الإنسان على نفس صورة النبات يختلف لونه وطبعه ومعشره وعمله. قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِيَوَانٌ وَغَيْرُ صِيَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِّصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَبُونَ﴾ (سورة الرعد، الآية: ٤).

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (١/١٩٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، (٤/١٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، طبعة ١٤٠٥هـ.

والمقصود من الاعتبار هو اختلاف ألوان الأصناف من النوع الواحد كاختلاف ألوان التفاح مع ألوان السفرجل، وألوان العنب مع ألوان التين، واختلاف ألوان الأفراد من الصنف الواحد تارات كاختلاف ألوان التمر والزيتون والأعاب والتفاح والرمان. وذكر إنزال الماء من السماء إمام في الغرض للاعتبار بقدرة الله مع ما فيه من اتحاد أصل نشأة الأصناف والأنواع كقوله تعالى: ﴿رُسِّقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِّضَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي التَّأْكُلِ﴾ (سورة الرعد، الآية: ٤) وذلك أرى للاعتبار^(١).

فهذا كله للتأمل في الكون وما فيه من بديع صنع الله تعالى، فالثمار المتنوعة الألوان، والجبال الملونة الشعاب، والناس والذباب والأنعام وألوانها المتعددة الكثيرة؛ وهي قراءات في الكتاب المنزل وما فيه من الحق المصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة. لفتة تطوف في الأرض كلها تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل عوالمها؛ في الثمرات؛ وفي الجبال؛ وفي الناس؛ وفي الذباب والأنعام. لفتة تجمع في كلمات قلائل، بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعاً؛ وتدع القلب مأخوذاً بذلك المعرض الإلهي الجميل الرائع الكبير الذي يشمل الأرض جميعاً.

وتبدأ بإنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات المختلفة الألوان. وألوان الثمار معرض بديع للألوان يعجز عن إبداع جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال. وينتقل من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال نقلة عجيبة في ظاهرها؛ ولكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية. ثم ألوان الناس؛ وهي لا تقف عند الألوان المتميزة العامة لأجناس البشر؛ فكل فرد بعد ذلك متميز اللون بين بني جنسه؛ بل متميز من توأمه الذي شاركه حملاً واحداً في بطن واحدة! وكذلك ألوان الذباب والأنعام^(٢).

(١) التحرير والتتوير لابن عاشور، (١٥٥/٢٢).

(٢) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب، (١٤٩/٦).

وهذه دلائل عظيمة في عظمة الحق سبحانه، تشير في مضمونها إلى الحكمة في تنوع الألوان واختلاف الجناس؛ تدعوا كل قلب مؤمن للوقوف والتأمل في أسرار مخلوقات الله وبدائع صنعه؛ ليصل إلى معرفته بتدبر أسمائه وصفاته، ثم التوجه إليه بالعبادة وإفراده بها؛ لأنها الغاية التي من أجلها خلق الله جلّ وعلا الخلق.

المطلب الثاني: الدلالة على عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

مما لا شك فيه أنّ رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته كانت عامة لجميع البشر، بل لجميع الثقيلين الإنس والجن، وقد خصه الله تبارك وتعالى وخصّ دينه الإسلام بهذا العموم؛ والعموم يعني كافة الناس بجميع طوائفهم وشعوبهم وأجناسهم وألوانهم من لدن بعثته إلى قيام الساعة قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة الأعراف- الآية: ١٥٨) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة سبأ- الآية: ٢٨).

ودلالة تنوع ألوان البشر على عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم؛ تتضح من

أمرين:

أولاً: التصريح بذلك بالمفهوم والمنطوق، كما في الآيتين السابقتين وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء- الآية: ١٠٧). وأما المنطوق فقولته صلى الله عليه وسلم: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُجْعَلُ إِلَى كُلِّ أُمَّرٍ وَأَسْوَدٍ وَأَحْمَرٍ لِي الْعَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَجُعِلَتْ

لَى الْأَرْضِ طَيِّبَةٌ طَهُورًا وَمَسْجِدًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ أُنْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ وَتُصِرْتُ
بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيَّ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَأَعْطِيتُ الشَّقَاعَةَ»^(١).

وفي رواية: "بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَكَانَ النَّبِيُّ إِيمًا يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً،
وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً"^(٢).

فقوله صلى الله عليه وسلم: " وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ" دلالة واضحة على أن
بعثته شاملة للجميع بجميع ألوانهم.

ثانياً: وجود ذلك التنوع في أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم، فهو صلى الله
عليه وسلم لم يميز في دعوته بين أبيض وأحمر وأسود، كما لم يميز بين غني أو فقير،
أو عبد وأمة أو حر، ولا بين عربي وعجمي.

فكان من أصحابه صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي^(٣) رضي الله عنه وهو
يمثل أهل فارس وما وراء
النهر أصحاب البشرة الحمراء. كما كان من أصحابه، عداس^(١) رضي الله عنه
من أهل نينوى.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سلمان الفارسي أبو عبد الله ويعرف بسلمان الخير كان أصله من فارس من رام هرمز من قرية يقال
لها جي ويقال بل كان أصله من أصبهان وكان إذا قيل له ابن من أنت قال أنا سلمان ابن الإسلام من بني
آدم من أبناء أساورة فارس وكان سلمان يطلب دين الله تعالى ويتبع من يرجو ذلك عنده توفي سلمان رضي
الله عنه في آخر خلافة عثمان سنة خمس وثلاثين وقيل بل توفي سنة ست وثلاثين. الاستيعاب في معرفة
الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري ابن عبد البر، (٢/٦٣٤). دار الجيل، بيروت، طبعة
١٤١٢هـ.

(١) عداس مولى شيبعة بن ربيعة كان نصرانياً من أهل نينوى قرية من قرى الموصل ولقي النبي صلى الله
عليه وسلم بالطائف في قصة ذكرها ابن إسحاق في السيرة وأنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أشهد أنك

وكان من أصحابه صلى الله عليه وسلم بلال الحبشي^(٢) رضي الله عنه الذي يمثل قارة إفريقيا، ويمثل اللون الأسود. وغيره كثير من الموالي والمستضعفين، ممن دخل في الإسلام ولم يجدوا، من يحميهم أو يمنعهم من تعذيب المشركين، والطغيان الجاهلي في ذلك الوقت، والمسلمون قلة يومئذ، وإن كان هناك من أعتقه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وكان من أصحابه صلى الله عليه وسلم صهيب الرومي^(٣) رضي الله عنه، وإن قيل هو عربي وقد سبي، لكنه تكلم بلسانهم. أصحاب الألوان البيضاء.

وكنكك تفاوت ألوان العرب بين السمرة والأدمة والبياض، فخليط من الألوان والشعوب والقبائل في دعوته، ورسالته، ممن دخل في الإسلام، دليل على أن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة، وأنه لم يبعث لأهل مكة والقرى من حولها فقط، ولا للعرب فحسب، بل وليس للإنس فقط، كما قال جل وعلا عن الجن: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (سورة الجن، الآيتان: ١، ٢)

عبد الله ورسوله، حين رأى علامات النبوة، خرج مع المشركين إلى بدر محذراً إياهم من قتال المسلمين فقيل مات ببدر وقيل بعد رجوعه منها. الإصابة لابن حجر، (٤/٤٦٦).

(٢) بلال بن رباح الحبشي المؤذن وهو بلال بن حمامة وهي أمة اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد فأعتقه فلزم النبي صلى الله عليه وسلم وأذن له وشهد معه جميع المشاهد وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح ثم خرج بلال بعد النبي صلى الله عليه وسلم مجاهداً إلى أن مات بالشام مات في طاعون عمواس، وقيل مات سنة عشرين، ودفن ببلب. المرجع السابق، (٣٢٦/١).

(٣) صهيب بن سنان بن مالك ويقال خالد بن عبد عمرو بن عقيل ويقال طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمه بن كعب النمري أبو يحيى وأمه من بني مالك بن عمرو بن تميم وهو الرومي قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً فنشأ صهيب بالروم فصار أكن ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة، من السابقين في الإسلام وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، مات سنة ثمان وثلاثين. المرجع السابق، (٤٤٩/٣).

وكذلك رسائل دعوته صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية، ومن دخل في الإيمان به في حياته أو بعد وفاته؛ وقد أرسل إلى ملك الحبشة النجاشي^(٤) فأمن به، وتوفي في زمنه وصلى عليه، كما أرسل إلى ملك مصر فأهدى له من الأقباط من آمن به، وأرسل إلى ملك الروم وملك الفرس.

ثم خرج الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يبشرون بهذا وقد تركوا أوطانهم وديارهم وأهليهم فعبروا ما وراء النهر، إلى بلاد الهند، ومصر وشمال إفريقيا، ودخلوا البحر الأبيض المتوسط. وغيرها من البلدان، ليعم هذا الخير جميع إخوانهم من بني آدم، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، فكان علماء الإسلام من كل لون وجنس وشعب.

ولم يكن هذا التنوع في الألوان فحسب بل حتى في أصحاب الديانات فدخل في الإسلام من كان يهودياً نصرانياً ومن كان مجوسياً ومن كان وثنياً^(١)، وهذا التنوع في الأعراف والديانات والشعوب في أتباعه دليل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم.

(٤) أصحمة بن ابجر النجاشي ملك الحبشة واسمه بالعربية عطية والنجاشي لقب له أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يهاجر إليه وكان رداءً للمسلمين نافعاً وقصته مشهورة في المغازي في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام وأخرج أصحاب الصحيح قصة صلته صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب كان ذلك في رجب سنة تسع. الإصابة لابن حجر، (٢٠٥/١)

(١) أسلم من اليهود عبد الله بن سلام، وثعلبة بن أسعد، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، وعبد الرحمن بن سماك، وعلي بن رفاعة القرظي، وجبل بن جوال الثعلبي، وجريج الإسرائيلي، وحبر نجرة الإسرائيلي ويقال جريجرة، وأسلم من النصارى الأصبع بن عمرو بن ثعلبة، بشير بن معاوية أبو علقمة النجراني، وتميم بن أوس الداري، وعدي بن حاتم الطائي، والجارود بن عمرو وقيل ابن المعلى. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر.

المبحث الثالث

أثر تنوع ألوان البشر في وحدة الأمة

المطلب الأول: أثره في نبذ العصبية والجهل.

إن وحدة الأمة الإسلامية مرهونة بنبذ العصبية والدعاوي الجاهلية، والتفاخر بالأحساب والأنساب، والقبلية المفضية إلى التناحر، والتخاصم، والظلم، مما يسهل على أعداء الإسلام ضرب الأمة ببعضها البعض، وإن الثقافة والعلم بتنوع ألوان البشر؛ بأنه أمر رباني مقدر، موروث من طينة وتراب آدم عليه السلام الذي منه خُلق - أعظم أثر في اجتماع الكلمة ووحدة الأمة.

لا نكران أن البشر يختلفون في لغاتهم، وألوانهم، من الناحية العامة. لكن هذا الاختلاف لا يؤبه له، ولا يחדش ما تقرر من تساويهم في الحقيقة الإنسانية الأصلية. إنه كاختلاف ألوان الورود في البستان، أو اختلاف الأزياء التي يرتديها الإنسان. وقد رفض الإسلام رفضاً حاسماً أن يكون ذلك مثار تفرقة، أو سبب انقسام بل جعله بالنسبة إلى الخالق الكبير آية على إبداعه^(١).

والإسلام أعظم دين نهى عن العصبية؛ وحثّ وأمر بالحفاظ رباط الأمة؛ ببيان أصل الإنسان، والدعوة إلى الوحدة والمساواة والعدل وبيان الحقوق المشتركة، فهذه رسالة الإسلام لم تكن للعرب فقط ولا لقبيلة ولا لشعب بعينه، ولا يحدها زمان ولا مكان. وفي الصحيح عن أبي نر^(٢) رضي الله عنه: أَنَّهُ سَابَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَعَبَّرَهُ بِأُمَّه - قَالَ - فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرَ

(١) حقوق الإنسان، لمحمد الغزالي، (٩/١). دار النهضة، مصر، الطبعة الأولى.

(٢) أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور الصادق اللهجة مختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جذب بن جنادة بن سكن، صحابي من السابقين إلى الإسلام، وكان طويلاً أسمر اللون نحيفاً. صادق اللهجة. كانت

ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ وَخَوَلَكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَعْثُبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعْيَبُوهُمْ عَلَيْهِ»(١).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ (٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ أَوْ شَقَّ الْجُبُوبَ أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ (٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قُبِلَ تَحْتَ رَأْيَةٍ عَمِيَّةٍ يَدْعُو عَصِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصِيَّةً فَيَقْتُلَهُ جَاهِلِيَّةً»(٤).

والأحاديث في ذلك كثيرة؛ فهذا التنوع في ألوان البشر من أجل التعارف والانتلاف لا التناكر والتخاصم والاختلاف. قال تعالى: رَبِّهَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات، الآية: ١٣).

وفاته بالرَبْذَة سنة إحدى وثلاثين، وقيل في التي بعدها كانت وفاته بالرَبْذَة سنة إحدى وثلاثين، وقيل في التي بعدها. الإصابة لابن حجر، (١٢٥/٧).

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، حديث رقم ٣٠، (٢٠/١). وصحيح مسلم، كتاب الأيمان، حديث رقم ١٦٦١، (١٢٨٢/٣).

(٢) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب من بني تيم بن سعد بن هذيل الهذلي، حليف بني زهرة أحد السابقين الأولين، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان صاحب نعليه، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين. الإصابة لابن حجر - (٢٣٣/٤).

(٣) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلفي أبو عبد الله، وقد ينسب إلى جده فيقال جندب بن سفيان سكن الكوفة ثم البصرة من صغار الصحابة. عاش إلى زمان مصعب بن الزبير. المرجع السابق، (٥٠٩/١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، حديث رقم ١٨٥٠، (١٤٧٨/٣).

قرأ الجمهور {لَتَعَارَفُوا} بتخفيف التاء؛ وأصله لتتعارفوا فحذفت إحدى التاعين، وقرأ البزري^(٥) بتشديدها على الإدغام، وقرأ الأعمش^(٦) بتاعين واللام متعلقة بخلقناكم: أي: خلقناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضاً، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما- لتعرفوا مضارع عرف، والفائدة في التعارف أن ينتسب كل واحد منهم إلى نسبه ولا يعزري إلى غيره؛ والمقصود من هذا أن الله سبحانه خلقهم كذلك لهذه الفائدة لا للتفاخر بأنسابهم ودعوى أن هذا الشعب أفضل من هذا الشعب، وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة، وهذا البطن أشرف من هذا البطن^(٧).

فمن تتقف بهذه الثقافة، كان حرياً ألا يفتخر بلونه أو جنسه وعرقه وشعبه، وعلم أن ذلك من مشيئة الله الكونية، ليحصل التعارف والإخاء باختلاف الألوان والشعوب، وأن الفخر يكون بالعمل والتقوى، وما تكنه القلوب، وأن الاعتزاز يكون بالإسلام، وبمتابعة نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، على حد قول القتال^(٨):

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا هتفوا بيكر أو تميم
بدعوى الجاهلية لم أجبهم ... ولا يدعو بها غير الأثيم
دعى القوم يئصر مدعيه ... فيلحفه بذى النسب الصميم
وما كرم ولو شرفت جنود ... ولكن التقى هو الكريم

(٥) البزري مقرئ مكة ومؤذنها، أبو الحسن، أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن أبي بزة، المخزومي مولاهم، الفارسي الأصل.

ولد سنة سبعين ومئة. صاحب ابن كثير، مات سنة خمسين ومئتين. سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٥١/١٢).
(٦) الأعمش الحافظ الثقة شيخ الإسلام أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي: أصله من بلاد الري كان رأساً في العلم النافع والعلم الصالح، توفي في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة. تذكرة الحفاظ للذهبي، (١١٦/١)

(٧) فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، (٩٥/٥).

(٨) انظر البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق د. داود القاضي، (٣٠٧/٨). دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

المطلب الثاني: أثره في قوة الأمة الإسلامية.

الإسلام دين شامل وكامل، ورسالة عالمية بكل ما تتضمنه الكلمة من معانٍ سامية؛ فهو يدعو إلى توحيد الله جلَّ وعلا، في العلم والعمل والعبادة؛ وإلى وحدانية الله وتفرده بالخلق، وإلى الوحدة الإنسانية بين البشر، وإن اختلف الناس أجناساً وقبائل، قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلْقَافُ السِّنِّبِ كُمْ وَالْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الرُّوم- الآية: ٢٢).

وفي سبيل تحقيق هذه الوحدة يدعو إلى المساواة، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات، الآية: ١٣)

فميزان التفاضل بين الناس يرجع إلى العمل والمعتقد وما تكنه القلوب فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١).

وما أجمل ما قال أمير المؤمنين عمر^(٢) رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص الزهري^(٣) رضي الله عنه حين أمره على العراق، وأوصاه فقال: يا سعد بن وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه؛ فإن الله لا يمحو

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلوة والأدب، حديث رقم ٢٥٦٤، (٤/١٩٨٦).

(٢) أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي . ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ت ٢٣هـ/٦٤٤م . الإصابة في تمييز الصحابة، لان حجر ، (٤/٥٨٨).

(٣) سعد بن مالك بن أهيب ويقال له بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو إسحاق بن أبي وقاص أحد العشرة وآخرهم موتاً وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمية أحد الفرسان وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وهو أحد الستة أهل الشورى وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك مات سنة إحدى وخمسين وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان والثاني أشهر. المرجع السابق، (٣/٧٤).

السيء بالسيء ولكن يحو السيء بالحسن، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربههم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقنا عليه، فالزمه فإنه الأمر. هذه عظتي إياك، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين»^(٤).

عَنْ النَّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ (١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحَمَى »^(٢).

تحقيق القوة بهذا التنوع :

إن القوة مأمور بها كل مسلم في جميع شؤونه وكذلك الجماعة والإمام قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (سورة الأنفال، الآية: ٦٠)

والقوة: حالة يقاوم بها صاحبها ما يوجب انخراجه، فمن ذلك قوة البدن، وقوة الخشب، وتستعار القوة لما به تدفع العادية وتستقيم الحالة؛ فهي مجموع صفات يكون بها بقاء الشيء على أكمل أحواله كما في قوله: ﴿نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ﴾ [النمل: ٣٣] ففوة الأمة

(٤) البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (٣٦/٧). طبعة مكتبة المعارف، بيروت، بدون.

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري من بني كعب بن الحارث ابن الخزرج، وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثمان سنين وهو أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة يكنى أبا عبد الله مات بعد سنة أربع وستين. الاستيعاب لابن عبد البر، (٤/٤٩٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، حديث رقم ٢٥٨٦، (٤/١٩٩٩).

مجموع ما به تدفع العوادي عن كيانها وتستبقي صلاح أحوالها من عدد حربية وأموال وأبناء وأزواج^(٣).

إنَّ التنوعَ البشري الموجود في الأمة الإسلامية، يجب أن يستغل في الدعوة إلى قوة الأمة الإسلامية، وإظهار هيبته في اجتماع صفوفها؛ وذلك بتنوع الألوان والأجناس فيها، فما لا يحسنه الأسود يجيده الأبيض وما لا يستطيع فعله الأحمر يفعله الأسود، فتكون هذه القوة في العقيدة والمنهج والأفكار والعلم والعمل والاجتماع بل حتى في الصورة، وذلك من الإعداد المأمور به شرعاً.

وتحقيق القوة يكون بالتعارف:

فكما أن علم الإنسان يزيد بمدارك المعرفة وتعرفه على ما لم يكن يعلمه من قبل، كذلك الحال في الأمة تظهر قوتها في تعارف أفرادها، من جميع الشعوب وهذا يكون بتعدادهم واختلاف ألوانهم.

قال السعدي: في تفسير قول الله تعالى: "يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، وفرقهم، وجعلهم شعوباً وقبائل أي: قبائل صغاراً وكباراً، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى"^(١).

وتحقيق القوة يكون بالوحدة:

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٠/٢١)

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويح، (١/٨٠٢). مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

والوحدة تكون في عبادة الله عزَّ وجلَّ حيث يتوجه الناس إليه في صلاتهم وحجهم ودعائهم وجميع عبادتهم إلى خالقهم.

وتكون بالعمل الجماعي، والذي تظهر فيه القوة بتنوع ألوان البشر، حيث تتلخح الأفكار، ويحصل الإتقان، وتشتد العزيمة ويقل الفتنور، فتعلو الهمة، وهذا مشاهد في النمل والنحل.

والوحدة كلمة ترتاح لها النفوس الزكية، وتتطلع إليها القلوب النقية، لما لها من مدلول عظيم، فالوحدة بها لم الشمل، وتوحيد الصف، وقوة الأمة، ولا أعظم ولا أدل على هذه الوحدة من الموقف الذي يتوحد فيه المسلمون ويجتمعون فيه ألا وهو موقف يوم عرفة، ذلك اليوم الذي يجتمع فيه المسلمون من شتى بقاع العالم، ويلبسون لباساً واحداً، لا يتميز فيه الغني عن الفقير، ولا القوي عن الضعيف، ذلك اليوم الذي يباهي الله عز وجل ملائكته بمشهد عباده المجتمعين في ذاك الصعيد في مشهد لا يتكرر إلا في ذلك الزمان وذلك المكان^(٢).

وهذا التنوع وهذه تظهر في كثير من المنظمات الإسلامية والمؤتمرات والجامعات الإسلامية التي تضم أعداداً متنوعة من بلدان متفرقة تظهر فيها حقيقة الدعوة الإسلامية عقيدة وعلماً وعملاً وتعبداً ومظهراً وسلوكاً وتآلفاً، وكما تظهر هذه الصورة في تنوع ألوان البشر، حيث انتشاره في جميع أرجاء الكون ومنه، وقراه وسهوله وجباله وبواديه، من غير إكراه أو حرب ولايزال في زيادة وإقبال وقبول ورغبة فيه، وكان ذلك تفسير لقوله صلى الله عليه وسلم: (لِيُبْلَغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَثْرِكُ اللَّهُ بَيْتَ مَرٍّ وَلَا وَبَرٍّ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِزُّ عَزِيزٍ أَوْ بَدَلٌ دَلِيلٍ، عَزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَدَلًّا يُدِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ)^(٣).

(٢) شرح بلوغ المرام، عطية بن محمد سالم، (١٧٠/١)

(٣) المسند للإمام أحمد، مسند تميم الداري، حديث رقم ١٦٩٥٧، (١٥٥/٢٨)

الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.
أما بعد: فأني أحمد الله تبارك وتعالى على ما منّ ويسر بفضلته وكرمه من إكمال هذا البحث، وأسأله جل وعلا القبول والمغفرة، وفي خاتمته هذه أود أن أشير إلى ملخصه ونتائجه وأهم التوصيات المتعلقة به:

[١] اختلف الناس في سبب تنوع ألوان البشر على ثلاثة أقوال:

{أ} إلى تنوع التربة التي خلق منها آدم عليه السلام، كما فسره وبينه النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك آية وعلامة على قدرة الله تعالى؛ وما قدره في هذا الكون، فكل إنسان يرجع لونه من عرق ووراثته من آدم عليه السلام، وإلى تربته وطيبته.

{ب} إلى أبناء نوح عليه السلام وهم سام وحام ويافت، فمن كان أبيض خالصاً إلى يافت، ومن كان أسود إلى حام، وبين هذا ونلك إلى سام. وهذا إن صح يرجع إلى السبب الأول؛ وحيث ورد فيه قصة باطلة عند أهل الكتاب والتي فيها طعن في نوح عليه السلام ووصفه بالسكر والتعري وأن حام نظر إلى عورته فلغنه فصار أسود. فإن أهل العلم يرون هذا السبب حماية لجناب ومكانة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

{ج} إلى العوامل البيئية والمناخية فسكان المناطق الحارة هم السود، وسكان المناطق الباردة هم البيض، وهذا التعليل غليل حيث يوجد من البيض في المناطق الحارة، ولم تتغير ألوانهم، ومن السود في المناطق الباردة وكذلك لم تتغير ألوانهم.

[٢] وجوب الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره؛ في كل شيء وفي الخلق خاصة، وأن ينظر الإنسان إلى النعم بمجموعها لا إلى أحادها، فقد يكون الإنسان أمهق اللون أو أسود، وهو سميع بصير متكلم معافاً في بنه، فهذه نعم لا توزن بلون.

[٣] إن الله سبحانه وتعالى لم يجعل تفاوت الألوان ميزاناً للتفاضل، ولا سلباً للاحتقار والازدراء.

[٤] إن من الثقافة والواجبة على كل مسلم أن يعلم أن الله تبارك وتعالى جعل من الأبيات العظام الدالة على عظمته وقدرته تنوع ألوان البشر؛ حيث قرن ذلك بخلق السموات والأرض.

[٥] أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم عامة لكل جنس وشعب وكل ذي لون من البشر، وهذا يدل على عالمية رسالة الإسلام وبقائه وعظمته، إذ يعظم هذا الدين جميع البشر بشتى صورهم وأشكالهم وألوانهم.

[٦] إن التنوع في ألوان البشر يجعل الأمة الإسلامية أكثر وحدة وقوة وترابطاً وهو يدخل الرهبة في قلوب الأعداء إذ يرون ذلك الأسود وهذا الأحمر، وهذا الأبيض وذلك الأسمر. في أمة واحدة كشعب واحد، وإخوة تجمعهم محبة تفوق محبة النسب، مشتركون في معاني الإنسانية، متفقون في العبادة والغاية السامية عبادة الله وحده لا شريك له.

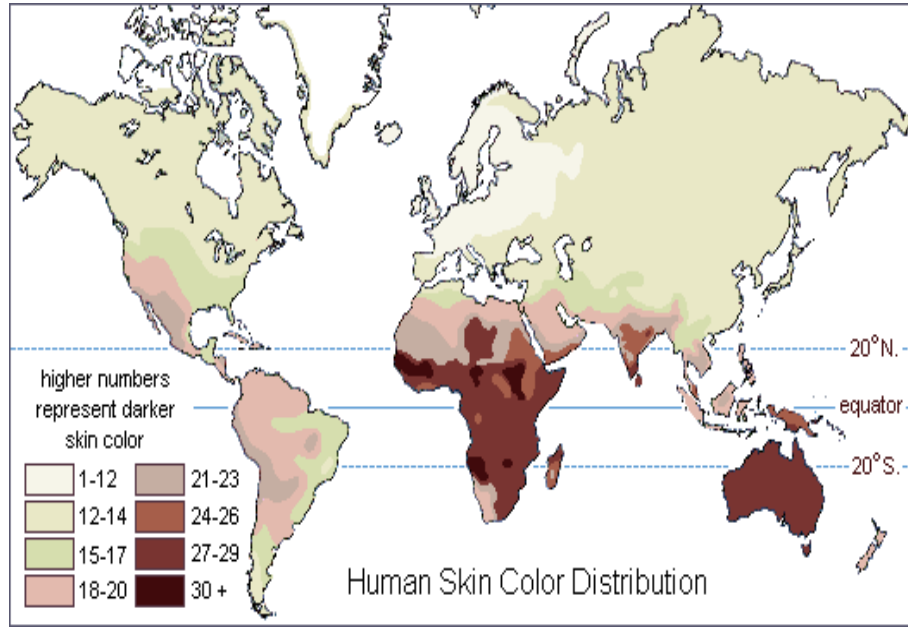
أهم التوصيات:

[١] أن يكون الاعتزاز بالإسلام شعار كل مسلم، وشعار كل دولة، وتغذية هذا الجانب لدى الشباب، وتكثيف البرامج الإعلامية فيه.

[٢] إبراز الوحدة الإنسانية في الإسلام، مع بيان محاربتة للعنصرية والعصبية والدعاوي الجاهلية، في مؤتمر خاص بذلك.

[٣] العمل على وحدة الأمة الإسلامية واستقلال هذا التنوع في الألوان والشعوب على العمل الجماعي، وإظهار هوية الإسلام من خلاله.

الملحق



خريطة توضح توزيع البشر حسب اللون (١).

فهرس المصادر والمراجع

- [١] الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري ابن عبد البر، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.
- [٢] الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- [٣] الأعلام، لخير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

(١) موقع دار العلوم <http://daralolom.blogspot.com>

[٤] البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، طبعة مكتبة المعارف، بيروت، بدون.

[٥] البصائر والنخائر، لأبي حيان التوحّيدي، تحقيق د. داود القاضي، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

[٦] التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

[٧] تحفة الأحوزي شرح سنن الترمذي، لمحمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت

[٨] تذكرة الحفاظ لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

[٩] تفسير البغوي معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

[١٠] تفسير الرازي مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

[١١] تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[١٢] التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

[١٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

[١٤] الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، طبعة ١٤٠٥هـ.

[١٤] حقوق الإنسان، لمحمد الغزالي، دار النهضة، مصر، الطبعة الأولى. بدون.

[١٥] سفر التكوين، الكتاب المقدس، طبعة دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط Arabic Bible ٤٠ series UBS – EPS – ٢٠ . ٦k – ٢٠٠١

[١٦] سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت بدون.
سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٩٩٨م.

[١٧] سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن قايمار الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

[١٨] شذرات الذهب لعبد الحي بن أحمد العكري ابن العماد الحنبلي ، تحقيق عبد القادر ومحمد الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، طبعة ١٤٠٦هـ.

[١٩] شرح بلوغ المرام، عطية بن محمد سالم، بدون.

صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

[٢٠] صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون.

[٢١] طبقات الشافعية لتاج الدين بن علي السبكي، تحقيق د. محمود الطناحي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

- طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأندري، تحقيق سليمان الحزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- [٢٢] عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم أبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- [٢٣] فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، بدون.
- [٢٤] قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة، دار مكتبة العائلة، القاهرة ومطبعة الحرية بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة عشر، ٢٠٠٥م.
- [٢٥] كتاب الجرائم، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. بدون.
- [٢٦] لسان العرب، لمحمد بن مكرم ابن منظور. دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
- [٢٧] المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق خليل جفل، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- [٢٨] المسند للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- [٢٩] مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- [٣٠] المعجم الكبير لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
- [٣١] معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد. اتحاد الكتاب العربي، طبعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

[٣٢] النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

الشبكة العنكبوتية:

[٣٣] موقع دار العلوم <http://daralolom.blogspot.com>

[٣٤] موقع منتدى التوحيد، مقال للدكتور محمود عبد الله نجا www.eltwhed.com

[٣٤] موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة ar.wikipedia.org/wiki